Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الثّورة الجزائريّة أيقونة الإبداع الشّعري العربي الشّاعر سليمان العيسى -أنموذجاً-

The Algerian revolution the icon of Arab poetic creativity, the poet Suleiman Al-Issa

د. نجاة بلعباس/ Dr Belabbas Nadjat
دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربي، مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة وأعلامها في المغرب العربي
Ph.D, Abu Bakr Belkaid University, Tlemcen (Algeria), Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Laboratory of Literary and Critical Studies and Their representatives in the Maghreb
الإيميل المهني: nadjet.belabbes@univ-tlemcen.dz

المؤلف المرسل: د. نجاة بلعباس/ Dr Belabbas Nadjat / الإيميل:nadjet.belabbes@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2023-01-08 تاريخ القبول : 2023-03-24

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقريب صورة الثّورة الجزائريّة من القارئ التي أضحت مصدر إلهام لكثير من الأدباء الجزائريّين والأجانب الذين آمنوا بحقّها المسلوب، فجادت قرائحهم بأشعار تحرّريّة رائقة؛ كان لا بدّ من عرض بعضها والإشادة بناظمها، لاسيما أشعار الشّاعر السّوري سليمان العيسى، لنتوصّل إلى استخلاص عدّة نتائج منها عرض أهمّ إسهامات شعراء الثّورة الجزائريّة المؤمنين بأهميّة الشّعر الثّوري عبر نتاجاتهم، مُحاولين فيها تجسيد معاناة الشّعب الجزائري وتطلّعه إلى الحرّية خاصّة لدى هذا الشّاعر الذي حثّ على مناهضة المستعمر الغاشم؛ بخطاب شعري واقعي ورد في شكل ديوان سمّاه ديوان الجزائر، ضمّنه الكثير من الأحداث والمواضيع ذات العلاقة بالجهاد، بأسلوب فنّي راقٍ وعذب وكلمات قويّة ومؤثّرة، فجاء شعره بمثابة وثيقة تاريخيّة لازالت تحتاج للتّتبع والدّراسة العميقة.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائريّة، الشّعر، أيقونة، الإبداع، سليمان العيسى.

Abstract:

This research aims to clear the image of the Algerian revolution in the reader's mind , which has become a source of inspiration for many Algerian and foreign writers fighting for its rights . It was necessary to present some of them, especially the poetry of the Syrian poet Suleiman Al-Issa, in order to reach several conclusions, including presenting the most important contributions of the poets of the Algerian revolution who believe in the importance of revolutionary poetry through their productions, trying to embody the suffering of the Algerian people and their aspiration for freedom ,With a realistic poetic discourse contained in the form of a diwan called the "Diwan of Algeria", it included many events and topics related to jihad, with a refined and sweet artistic style and strong and influential words, so his poetry came as a historical document that still needs tracking and deep study.

Key words: Algerian revolution, poetry, icon, creativity, Suleiman Al-Issa.

1. مقدمة:

شكّلت الثّورة الجزائريّة على مرّ العصور مثالاً يقتدي به كلّ من ينشد الحريّة والاستقلال والانعتاق من ظلم المستعمر الغاشم، فقد استطاعت بفضل تضحيات أبناءها أن تكفل للجزائريّين حياة كريمة مفعمة بالحريّة والانتصار بعد كلّ ما كابدوه من جبروت المستدمر الفرنسي، حيث تحوّلت إلى مصدر إلهام متميّز لكثير من الأدباء والفنّانين الجزائريّين والأجانب الذين تأثّروا بها وآمنوا بذلك الحق المسلوب الذي ضحّى من أجله أبطال الجزائر فقدّموا النّفس والمال في سبيل الحصول عليه وهو الاستقلال.

لقد جسّد الأدباء وبخاصّة الشّعراء منهم صورة الثّورة الجزائريّة في أشعارهم؛ فنقلوا معاناة الشّعب المضطهد ومجّدوا بطولاته وتضحياته من خلال ذلك الكمّ الهائل من القصائد والدّواوين التي أنتجوها، مؤكّدين صدق مشاعرهم وتضامنهم مع هذه الثّورة العظيمة؛ وإذا ما تصفّحنا سجلّ التاريخ سنجده حافلاً بذكر أسماء هؤلاء الشّعراء باختلاف جنسياتهم من جزائريّين وأجانب، وهنا لا يفوتنا أن نسعى إلى إيراد نتاج شاعر بارز من القطر السّوري الشّقيق ألا وهو الشّاعر سليمان العيسى الذي أسهم في مؤازرة الثّورة الجزائريّة، ودعمها بخطاب شعري واقعي ومؤثّر كان له صدىً

كبير في أوساط المجتمعات، ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية: كيف استطاعت الثّورة الجزائريّة أن تصبح مصدر إلهام متميّز في الإبداع الشعري العربي؟ وتحت هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التّساؤلات الفرعيّة منها: هل استطاع الشّعراء العرب توظيف صور الثّورة في أشعارهم خدمة للقضايا التحرّرية؟ وما هو نصيب الشّاعر سليمان العيسى من هذا الشّعر التحرّري الثّوري؟

وقد كان انطلاقنا من فرضيّات أنّ الثّورة الجزائريّة كانت ردّ فعل صريح من لدن الجزائريّين على بطش المستعمر الفرنسي الغاشم، وقد جسّدت في ثناياها أسمى أنواع الجهاد وأرقاها ما لم تعرفه أيّ ثورة قبلها أو بعدها وهو ما سيجعلها حتما أيقونة إلهام للشّعراء ضمن إبداعاتهم المختلفة وعلى رأسهم الشّاعر سليمان العيسى الذي لم يبخل عن الجزائريّين بالمؤازرة والمشاركة بالقلم في مسيرة التحرّر.

ولعلّ ما نبتغي الوصول من أهداف يتمحور حول محاولة تبيان ما استلهمه الشّعراء العرب من جزائريّين وأجانب من ثورة التّحرير الجزائرية لإيصال صوتها إلى أبعد الأصقاع عبر أشعارهم ولاسيما لدى شاعرنا العيسى الذي خصّها بديوان أطلق عليها اسم الجزائر.

كما اعتمدنا في بحثنا على منهجيّة عامّة تمثّلت في تقسيمه إلى محورين أساسيين تطرّقنا في أوّلهما إلى عرض صورة الثورة ومآثرها ضمن شتّى الإبداعات الجزائرية والعربية، منصرفين في المحور الثّاني إلى تتبّع صورها في أشعار الشّاعر السوري سليمان العيسى لاسيما ضمن ديوانه المسمّى الجزائر.

2.المحور الأول: صورة الثّورة الجزائريّة في الإبداع الشّعري العربي

يُعدّ الشّعر فنّا وجدانيا صادقا بامتياز، فهو وثيق الصلة بحياة الشعراء وواقع مجتمعاتهم، وبواسطته يستطيع كلّ شاعر التّعبير عن واقعه ووجدانه وكذا التأمّل في مستقبله بجانبيه الإيجابي والسّلبي؛ وهو بما يمتاز به من قوّة في السّبك وروعة في النّظم فإنّ قائله يوظّفه كوسيلة تعبيريّة عن كافّة الموضوعات التي تجتاح حياته، فيتلقّى به مآثر أسلافه ويخلّد بواسطته مواقف أمّته لتتردّد على ألسنة الأجيال اللاّحقة، ووفقاً لهذه المزايا التي حظي بها الشّعر وسط الأمم فقد اتّخذه أغلب الشّعراء ميداناً خصباً للتّعبير عن ما يخالجهم-وبكلّ حريّة- تبعاً للظّروف المتقلّبة التي مُنِيَ بها الكثيرون، ولاسيما ما كابدته الجزائر من بطش الاستعمار وجبروته، فكان لزاماً على الشّعراء أن يتّجهوا اتّجاهاً مغايراً ويستحدثوا نمطاً جديداً ضمن ميادين الشّعر؛ وهو ما يُعرف بالشّعر التحرّري أو شعر المقاومة.

اتّخذ شعر المقاومة أسماءً كثيرة ومتعدّدة تصبّ كلّها في رافد واحد ألا وهو إسهام هذا الشّعر في دعم ثورات التحرّر فكما للبندقيّة دورها في المقاومة، فإنّ للكلمة كذلك دورها الفعّال، فالكلمة كالمدفع والطّائرة، لكلٍّ في مجاله أهميّة، ما دامت هذه الكلمة تصوغ وجدان الإنسان [1]حيث حمل الشّعراء أيضا لواء الجهاد في سبيل نيل الحريّة بأقلامهم، فجادت قرائحهم بأجود القصائد الرنّانة إيماناً منهم بقوّة الكلمة في ميدان الثّورة، ودورها الفعّال إلى جانب السّلاح في دعم الثوّار وإيصال الصّوت المكبوت للشّعب الجزائري إلى أبعد الأصقاع ما من شأنه إيقاظ الهمم وزيادة الوعي القومي بشرعيّة القضيّة.

وإذا كان الشّعر هو فنّ المقاومة بشكل عامّ، أي إنّه من أكثر الأنواع الأدبيّة قدرة على امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتها في الحين، فإنّ شعر المقاومة بصورة من الصّور هو فنّ الذّيوع والانتشار لما يحتويه بناؤه الموسيقي، واختيار الكلمات وطريقة وضعها إلى جانب بعضها البعض، ولعلّ شعر الحرب وشعر الحبّ يأتيان في مقام الصّدارة من قائمة الأشعار القادرة على الذّيوع فكلاهما يعتمد على حرارة الانفعال[2] فالمتأمّل في عنصر المقاومة والثّورة في الشّعر سيجدها حتماً صورة متجلّية وواضحة عن هول الفاجعة التي برع الشّعراء في تصويرها بقصائدهم من تنويع للمواضيع، يُؤازرها في ذلك حسن اختيار الألفاظ والأساليب والأنغام ما يثير في نفس القارئ العاطفة الإنسانيّة الكامنة فيجعله يتأثّر بما يسمع ويتفاعل معه.

وكما أنّ شعر الحبّ يعتمد على حرارة العاطفة والانفعال في شأن المحبوب فإنّ شعر الحرب هو الآخر لا يخلو من دغدغة المشاعر لأنّه يحتوي حباً أكبر وهو حبّ الوطن أوليس حبّ الوطن من الإيمان!؟ ولذلك فإنّ سبيلهما للانتشار والذّيوع يكون أوسع من غيرهما من أنماط الشّعر الأخرى.

بلغ شعر المقاومة ذروته الحقيقيّة ببروز فجر الثّورة الجزائريّة ضدّ المستعمر الذي عاث في بلادنا فساداً منذ أكثر من عقود من الزّمن، إلاّ أنّ بوادر هذه الثّورة ومحاولات الشّعب الانعتاق من الاستبداد ضارب في القدم، حيث انطلقت تلك الثّورات الشّعبيّة من كلّ فجٍّ عميق من تراب

الجزائر الأبيّة يقودها أمراء وقوّاد محنّكون ألحقوا بالمستعمر الخسائر الفادحة شأن ثورات بوعمامة، والمقراني، وسيد الشّيخ، والأمير عبد القادر الجزائري، ولالّة فاطمة نسومر.

فنلحظ أنّ الأمير عبد القادر قد مزج في ثوراته ثورة السّلاح بثورة القلم الدّاعية لتعبئة النّفوس للجهاد ونشر الدّين والعلم، والحثّ على الوحدة من أجل مجابهة الظّلم وهو ما يؤكّده محمد الطمّار بقوله: « إنّ الثّورة في الجزائر بدأت مع عبد القادر، ولم تنته منذ ذلك الحين فإن خمدت نيران الحرب التي فاضت على سلاسل العبوديّة فإنّ الثّورة السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة لازالت مستمرّة»[3] فقد حمل الأمير على عاتقه مهمّة الدّفاع عن الوطن، ومحاولة بعث الحماس في نفوس أبناء الجزائر وإيقاظهم من غفلتهم من خلال أشعاره التي صوّرت النّضال، ومعاناة المجاهدين في سبيل نيل الحريّة بالرّغم من تضييق المستعمر لكلّ السّبل الدّاعيّة لتفتّح هذا الشّعب وحرصه على تجهيله وتفقيره حتّى ينال هو ما يريد بكلّ سهولة، وهاهو ذا الأمير عبد القادر يفخر بجهاده رفقة إخوانه ضدّ فلول المستعمر فيقول:[4]

إِذَا مَا اشْتَكَتْ خَيْلِي الجِرَاحَ تَحَمْحُمًا

أَقُولُ لَهَا صَبْرًا كَصَبْرِي وَإِجْمَـــالِي

وَأَبْذُلُ يَوْمَ الرَّوْعِ نَفْسًا كَـــــرِيمَةً

عَلَى أَنَّهَا فِي سِلْمٍ أَغْلَى مِنَ الغَـــالِي

وَعَنِّي سَلِي جَيْشَ الفَرَنْسِيس تَعْلَمِي

بِأَنَّ مَنَـايَـاهُـم بِسَيْـفِي وَعـسَـــالِي

فَمَـا هِمَّتِـي إِلاَّ مُقَـارَعَةُ العِـــــدَا

وَهَزْمِـي أَبْطَـالاً شِـدَاداً بِأَبْطَـالِي

فَلَا تَهْزَئِي بِي وَاعْلَمِي أَنَّنِي الـذِي

أُهَابُ وَلَوْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ الثَّرَى بَالِي

فالأمير عبد القادر يحاول في هذه الأبيات أن يرسم صورة القائد المغوار الذي يقدّم النّفس والنّفيس من أجل أن يعيش أبناء الوطن في حريّة واستقلال، فنجده يعتدّ بنفسه وبشجاعته التي سيبذلها في سبيل الدّفاع عن وطنه ودينه؛ فيلتفت مخاطباً أمّ البنين يُشيد ببطولاته ممتطياً عنان خيله ينازل العدوّ في ساحات الوغى وينشر فيه الرّعب والفزع، وحتّى وهو ميّت يعدّ مصدراً من مصادر خوفه لأنّه لا يزال هناك الكثير من أمثاله من أبناء هذا الوطن المفدّى.

وهو بذلك راح يمزج وصف المعارك بالفخر بالذّات شأن الشّعراء القدامى فعبد القادر في فخره ينقلك إلى واقع حقيقي، فهو لم يتخيّل معاركه وحروبه تخيّلاً كما يصوّرها بعض الشّعراء، وإنّما يصف كلّ ما رآه وما عاناه وصف خبير، فقد قضى أيّامه وأفنى زهرة شبابه بين قعقعة السّلاح وصهيل الخيل وغبار المعارك مع أهله وجنده الأشاوس، كما يتغنّى بالشّجاعة والبأس والبطش بالعدو لأنّه عرف المعارك ومارسها ممارسة الجندي والقائد[5] فنظرة الشّاعر المعايش للوضع المطروح ضمن شعره مُغايرة تماماً لما يتخيّله في ذهنه من أحداث، ولذلك جاءت أبيات الأمير دالّة على هول ما لاقاه وجيشه من صعاب قابلوها بالصّبر والتجلّد المرفوق بالإيمان والأمل في غدٍ مشرق.

لقد أدرك أبناء الجزائر أنّ ما أُخذ بالقوّة لن يُسترجع إلاّ بالقوّة، فحمل الشّعراء على عاتقهم مهمّة الدّفاع عن الوطن بالقلم وتعدّدت أشكال الجهاد وتنوّعت موضوعاته، فكان ما زاده قوّة وغزارة محاولات المستعمر عزل الشعب عن الثّورة ومنع تداول التّعليم والشّعر من قريب أو من بعيد، وهذا الإمام عبد الحميد بن باديس ينظم شعره الصّريح في الردّ على فكرة الاندماج الفرنسيّة ويبيّن موقفه وموقف الشّعب منها فيقول:[6]

شَـــعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِـــمٌ

وَإِلَى العُـــــرُوبَةِ يَنْتَسِـــبْ

مَنْ قَالَ حَـــادَ عَنْ أَصْـلِهِ

أَوْ قَالَ مَـــاتَ فَقَدْ كَـــذَبْ

أَوْ رَامَ إِدْمَـــاجًـا لَـــهُ

رَامَ المحَـــالَ مِنَ الطَّلَـــبْ

فابن باديس كان واعياً بخطورة ما يحيكه الاستعمار للشّعب الجزائري من مكيدة تسعى لتغريبه عن دينه ولغته أوّلاً، ثمّ عن وطنه ثانياً، فجاءت دعوته صريحة في أبياته بأنّ هذا الشّعب شعب مسلم عربي النّسب واللّغة ولا شكّ في ذلك، وأنّ كلّ دعوة لتنصيره أو فرنسته لن تُجدي نفعاً لأنّه

شعب واعٍ ومتديّن مدرك لِما يُحاك حوله وسيتصدّى لذلك بكلّ السّبل، فمهمّة الشّعراء في هذه المرحلة من الثّورة ليست بالهيّنة لذلك يسعى كلّ شاعر لتعبئة الأبناء وشحذ هممهم لمجابهة هذا الخطر المحدق بهم.

كما يتراءى لنا من عالي سماء الجزائر نجم الشّاعر مفدي زكريا الذي خصّص أغلب أشعاره لتخليد ثورة التّحرير الجزائريّة وأمجاد صانعيها، فهي لعظم انتصاراتها حرّكت القرائح والأقلام فأجاد الشّعراء قصائد تتغنّى بالثّورة والحريّة، حتّى لئنّ جُلّهم لم تُسعفه الكلمات للتّعبير، فكان من جملة ما ورد عن شاعر الثّورة قوله:[7]

نَطَقَ الرَّصَاصُ فَمَا يُبَاحُ كَـلاَم

وَجَرَى القِصَاصُ فَمَا يُتَاحُ مَلاَم

السَّيْفُ أَصْدَقُ لَهْجَةً مِنْ أَحْرُف

كُتِبَتْ فَكَـانَ بَيَانُـهَا الإِبْهَـام

إِنَّ الصَّحـائِفَ للصَّفَائِحِ أَمْرُهَا

وَالحِبْرُ حَرْبٌ وَالكَـلاَمُ كَـلاَم

عِزُّ المَكَاتِبِ فِي الحَيَاةِ كَتَـائِب

زَحَفَتْ كَـأَنَّ جُنُـودَهَا الأَعْـلاَم

تحوّل الشّاعر وسائر إخوانه من الشّعراء والكتّاب إلى جزء رئيس من جبهة القتال بهذه الثّورة العظيمة، حيث راح مفدي زكريا يترجم أحاسيسه ونظراته لواقع الجزائر في شكل تعبيري شعري واقعي يُنبئ بغضب الشّعب على المستعمر، وعزمه على إشهار السّيف والرّصاص وتجنيد الكتائب لإعلان الحرب عليه، وسحقه لنيل الحريّة وإثبات الهويّة الوطنيّة الجزائريّة العربيّة الإسلاميّة.

وهذا الشّاعر الفذّ محمد العيد آل خليفة يعمد إلى توظيف الرّموز المختلفة في شعره، ما يُعطيه نوعاً من الصّدق والعمق الذي إذا تمعّن فيه القارئ سيتعرّف حتماً على ما يقصده الشّاعر بكلامه في نوع من الإيحاء الكثيف والدّلالات البعيدة، فنجد موضوعات متعلّقة بالمكان والطّبيعة والمرأة وكذا معظم الشّخصيات الدّينيّة والثّوريّة بالجزائر، فيحيلنا كلّ رمز من الرّموز إلى معنىً معيّن أكثره ما يوحي بالحريّة والاستقلال ومجابهة الظّلم، ومن شعر هذا الشّاعر نورد قوله:[8]

وَمَا جَبْهَةُ التَّحْرِيرِ إلاَّ عَرِينُنَـا

وَمَـا جَيْشُنَا إلاَّ اللُّيُوثُ بِهِ تُضْرَى

سَلُوا عَنْ أَوْرَاس العَتِيدَ فَرَأسُـهُ

لَهُمْ مُنْحَنٍ عَطْفاً بِهِمْ شَامِخٌ فَخْـراً

سَلُوا عَنْهُ أَطْوَادَ البِلاَدِ جَمِيعهَا

فَفِيهَا بِحَقٍّ طَابَقَ الخَبَرُ الخُبْـــرَا

حيث استعمل الشّاعر رمز الأوراس الشّامخ ليُدِلَّ على صمود المجاهدين إبّان ثورة التّحرير؛ فما هم إلاّ أُسُود بعرين جبهة التّحرير ضمن منطقة الأوراس الأشمّ الذي لا يزال إلى اليوم شاهداً على ما جرى به من وقائع أليمة، وانتصارات عظيمة فجّرت أركان الثّورة وأسهمت إسهاماً منقطع النّظير في تحقيق الاستقلال.

كما كان ممّن ارتبطت أسماؤهم بالثّورة الجزائريّة الشّاعر أحمد سحنون الذي دبّج أشعاره بالتطرّق لأهمّ مواطن العظمة بهذه الثّورة التي كانت مثالا يُحتذى به من لَدُن كثير من الدّول المستعمرة، حيث خطت خُطى الجزائر فأعلنت ثوراتها المتواصلة ضدّ كلّ محتلّ غاشم، حيث حاول سحنون أن ينقل إحساسه بهول الفاجعة للمتلقّي بحسن اختياره للألفاظ والأساليب المقنعة والمؤثّرة، فكان من جملة ما كتب قوله:[9]

أَيُّهَا الزَّهْرُ كَيْفَ تُبْدِي ابْتِسَاماً

وَعُيُونُ الأَطْفَالِ تَذْرِي الدُّمُوعَا

أَيُّهَا البَحْرُ كَيْفَ تُبْدِي هُـدُوءً؟

وانْتِشَاءً وَالهَوْلُ هَدَّ الرُّبوعَـــا

أَيُّهَا السُّكُونُ كَيْفَ تَرْجُو سَلاَماً

وَالجَزَائِرُ أَوْشَكَتْ أَنْ تَضِيعَـــا

فالشّاعر يُخاطب الطّبيعة بعناصرها المتنوّعة فيشكوا إليها ما آل إليه أبناء هذا الوطن من حرمان وبؤس، فمن يكفكف دموع الأطفال ويخلّص الشّعب من العبوديّة، ومن يسترد البلاد من أيدي المستعمر بعد أن أوشكت على الضّياع، وهو

بهذه الكلمات يدعو الجزائريّين دعوة صريحة للجهاد وإعلاء راية الحق قبل فوات الأوان.

أجل، لقد أفادت الثّورة الجزائريّة من جهاد أبنائها الشّعراء بالكلمة التي صوّرت مآسي شعب بأسره، فنقلت بالقارئ ما كابده الأجداد في سبيل الحصول على الحريّة، بل وقد واكبت التطوّرات الحاصلة بكلّ صدق وإخلاص، حيث ترك الشّعراء سجلاً حافلاً بالبطولات المشرّفة التي وجب على أجيال المستقبل الامتثال بها ومواصلة مهمّة البناء والتّشييد في سبيل أن تحيا الجزائر حرّة مستقلّة في أي زمن.

3.المحور الثّاني:_صورة الثّورة الجزائريّة في شعر سليمان العيسى

هزّت ثورة التّحرير الجزائريّة وجدان الشّعراء العرب على اختلاف جنسياتهم سواء كانوا ممّن عايشوا واقعها المرير أو ممّن نُقلت إليهم أحداثها الجسام، فجادت قرائحهم بقصائد رنّانة، وقد عكس تفاعلهم هذا مؤازرتهم التامّة لإخوانهم الجزائريّين وتأييدهم لهم في مواجهة كل مستعمر غاشم، ما جعل الثّورة تتحوّل إلى ملحمة فخر لكلّ الأمّة العربيّة ورمزاً أسطورياً يوظّفه كل من ينشد التحرّر والمساواة، فقد صدحت حناجر الشّعراء العرب في مشارق الأرض ومغاربها تتغنّى وتفخر بمآثر ثورة التّحرير المجيدة عبر مجموعة هائلة من الدّواوين والقصائد لثلّة من الشّعراء، أبرزهم من القطر السّوري الشّقيق شأن محمد الحريري، ونزار قباني، حيث بلغ عددهم زهاء أربع وستّين شاعرا وشاعرة، فضلاً عن إسهامات شعراء العراق من أمثال نازك الملائكة، ومحمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السيّاب، وعبد الوهّاب البيّاتي، وكذا من مصر فنورد اسم الشّاعر أحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم في محاولة دائبة منهم تتمحور حول إبراز تفاعلهم التامّ مع إخوانهم بأرض الجزائر ومؤازرتهم في محنتهم.

فشاعر الثّورة مفدي زكريا في إحدى قصائده يسجّل ذلك التّآلف بين أقطار العروبة فيقول:[10]

نَسَبٌ بِدُنْيَا العُرْبِ..زَكَّى غَرْسهُ

أَلَمٌ..فَـأَوْرَقَ دَوْحُـــهُ وَتَفَرَّعَـــا

سَبَبٌ، بِأَوْتَارِ القُلـُوبِ عُرُوقُـهُ

إِنْ رَنَّ هَـــذَا..رَنَّ ذَاكَ وَرَجَّـــعَا

إِمَّـا تَنَهّـد بالجَزَائـِرِ مُوجَـعٌ

أَسَـى الشَّـامُ جِرَاحَـهُ، وتَوَجَّـعَـا!

وَاهتَزَّ فِي أَرْضِ الكِنَانَةِ خَـافِقٌ

وَأَقَضَّ فِي أَرْضِ العِرَاقِ المَضْجَعَا!

ويضيف قائلا:[11]

وَارْتَجَّ فِي الخَضْرَاءِ شَعْبٌ مَاجِدٌ

لَـمْ تُثْنِـهِ أَرْزَاؤُهُ أَنْ يَفْزَعَـــا

وَهَوَتْ مُرَّاكُشُ حَوْلـهُ وَتألّمَـتْ

لُبْنَـانُ وَاسْتَعـدَى جَدِيسَ وَتُبَّعَـا

تِلْكَ العُرُوبَةُ..إِنْ تَثُرْ أَعْصَابُهَـا

وَهَنَ الزَّمَانُ حَيَالَهَا، وَتَضَعْضَـــعَا

فالشّاعر في أبياته هذه يعترف بصريح العبارة بالكمّ الهائل من القصائد التي نظمها أبناء العروبة من مرّاكش إلى بغداد، ويُشيد بجودة أشعارهم المصوّرة لثورة التّحرير، والمفتخرة ببطولات أبناء الجزائر في معارك غير متكافئة مع المستدمر الغاشم، غير أنّ الملفت للانتباه أنّ أبناء القطر السّوري الشّقيق قد استأثروا بنصيب هائل من شعر الثّورة الجزائريّة بنظمهم ما يُقارب مائتي قصيدة، قام الدّكتور والباحث الجزائري عثمان سعدي بجمعها في دراسة مبوّبة وواضحة وسمها باسم الثّورة الجزائريّة في الشّعر السّوري.

وها هو ذا أبرع شعراء الشّام الشّاعر سليمان العيسى- الذي هو محور دراستنا- يبعث برسالة أخوية للجزائر تجسّد إعجابه بثورتنا وإيمانه الصّارخ بعبقريتها، مخاطبا الأستاذ عثمان سعدي فيقول: هذا الجسد العربي القديم الذي مزّقه الاستعمار بلؤم ووحشيّة خلال القرون الطّويلة، قد أخذ يتحرّك ويلتمس طريقه إلى الحياة...موجة التّدمير اللّئيم تنحسر والوطن العربي الاشتراكي قادم، قادم إلى النّور، والجزائر أرضك يا أبا عبير وأرضي وأرض العرب مسؤولة، مسؤولة عن تفجير هذه النّواة العربيّة الهائلة من المحيط إلى الخليج[12] فهذا الشّاعر يعدّ من أبرز شعراء الشّام الذين

انتدبوا أنفسهم لمجابهة الظّلم ونقل هموم الشّعوب المضطهدة وتقريب قضاياها للرّأي العام.

ومن بين أكثر الشّعوب العربيّة التي عانت الويلات من جرّاء المستعمر الغاشم الشّعب الجزائري، فقد خصّ الشّاعر الجزائر وثورتها العظيمة بديوان سمّاه ديوان الجزائر فكان بحقّ نموذجاً للشّاعر الملتحم بقضايا أمّته الممتزج بها إيماناً وعملاً، فكان يبعث في الجماهير حماس الوحدة والنّهوض العربي القادم[13] فهو بمعاصرته ثورة التّحرير الوطنيّة تغلغلت أحداثها الجسام في وجدانه، وارتسمت صور بطولة الشّهداء والمجاهدين في مخيّلته، لتنعكس في شعره تجربة صادقة تغمرها مشاعر الأخوّة والفخر والأمل في غدٍ أفضل كيف لا وهو الذي ألِفَ نظم الشّعر التّحرّري منذ صغره إبّان مشاركاته القيّمة بقصائد قوميّة في المظاهرات، ليتابع مع رفاقه الكفاح ضدّ الانتداب الفرنسي في سبيل وحدة الأمّة العربيّة ونيل حريّتها[14] فقد غمرت القضايا الوطنيّة القويّة بما فيها ثورة الجزائر جلّ وقت الشّاعر؛ فجسّدها في نتاجه الشّعري والنّثري الغزير عبر مواضيع عدّة تراوحت بين الماديّة والمعنويّة لكلٍّ منها دلالاتها الخاصّة الفوّاحة بشذى عبق الثّورة، ففي إحدى قصائده المعنونة من ملحمة الجزائر نجده يصف حيثيات الثّورة الجزائريّة ضدّ المستعمر الفرنسي يقول فيها:[15]

رَوْعَةُ الجُرْحِ فَوْقَ مَا يَحْمِلُ

اللَّفْظُ وَيَقْوَى عَلَيْهِ إِعْصَارُ شَـاعِرْ

أَأُغَنِّي هَدِيرَهَا وَالسَّمَـوَاتُ

صَـلاَةٌ لِجُرْحِـهَا، وَمَجَامِـــرْ؟

أَأُنَـاجِي ثُوَّارَهَـــا، وَدَوِيُّ

النَّار أَبْيَاتُهُم، وَعَصْفُ المَخَـاطِرْ؟

مَا عَسَانِي أَقُولُ؟ وَالشَّـاعِرُ

الرَّشَّاشُ، وَالمدْفَعُ الخَطِيبُ الهَـادِرْ

وَالضَّحَايَا المُمَزَّقُون، وَشَعْبٌ

صَـامِدٌ كالإلَهِ يَلْـوِي المَقَـادِرْ

فقد أحسن الشّاعر تصوير فضاعة الحرب ضدّ الشّعب الأعزل، حين عمد المستعمر لتحويل بلد الجزائر إلى خراب يعجّ بالنّيران وأشلاء الجثث المتناثرة هنا وهناك، يقابلها صمود الشّعب الأبي أمام قدر المولى عزّ وجلّ، وسعيه الحثيث من لدن ثوّاره ولو بأساليب بسيطة لمقاومة ذلك الظّلم ونيل الحريّة.

واكب الشّاعر سليمان العيسى أحداث ثورة التّحرير في شعره المتدفّق مستعينا بالكثير من الصّور والرّموز التي دأب إلى توظيفها بدقّة وبخاصّة البارزة منها والمتعارف عليها من لدن الجزائريّين وغيرهم، فحظيت منطقة الأوراس الأشمّ بنصيب معتبر من هذا الاهتمام كونه المكان المعروف ببطولات أبنائه في وجه المستعمر، فيقول في شأن المنطقة:[16]

حَمَلْتُ أَجْنِحَةَ الأَطْفَـالِ مِلْءَ يَـــدِي

وَجِئْتُ أَبْحَثُ يَا أَوْرَاسُ عَنْ جَسَـدِي

أَزُورُك الآنَ، أشْـــوَاقِي مُبَـعْثَـــرَةٌ

عَلَى حَصَاكِ، تَسَامَى القُرْبُ بِالبُعْـــدِ

مَا غِبْتِ عَنِّي فَلَوْ فَتَّشْتِ حنْجَرَتِـــي

ويضيف:[17]

إِلاَّكِ يَا صَيْحَـةَ الثُّوَّارِ لَنْ تَجِـــدِي

السِنْدِيَانُ عَلَى الأَوْرَاسِ مَـا بَرِحَـــتْ

جُذُورُهُ فِي دَمِي خَضْرَاء فِي كَبِـــدِي

دَمُ الرُّجُولَةِ هَذِي الأَرْضُ شَامِخَـــة

فامْسَحْ جَبِينَـكَ بِالذِّكْـرَى وَبِالبَلَـد

فقد ذاع صيت منطقة الأوراس وكلّما ذُكرت إلاّ وتذكّرنا معها بطولات الثوّار عبر ربوعها؛ فهي رمز خالد عن تلك التضحيات النّفيسة التي ما فتئ الشّاعر يُشيد بها ويعدّد مفاخر شعب لم يرحمه المستعمر، ومع ذلك استطاع فكّ قيود الظّلم وحقّق النّصر المنتظر.

ومن بين أكثر ما لفت انتباه الشّاعر بثورة البلد الخالدة تضحيات الشّهداء والمجاهدين رجالاً ونساءً الذين قدّموا الغالي والنّفيس في سبيل أن تحيا الجزائر حرّة مستقلّة، حيث خصّهم بقصائد رنّانة صوّر من خلالها تضحيات هؤلاء العظماء فيقول في شأن الشّهيد يوسف زيغود:[18]

صَمْـتٌ عَلَى الوَادِي، يُرَوّعُ الوَادِي

وَسَـحَابَـةٌ مِنْ لَوْعَـــةٍ وَحِـــدَادِ

يَـا سَفْحَ يُوسُـف يَا خَضِيبَ كَمِينِـهِ

يَـا رَوْعَــةَ الأَجْدَادِ فِي الأَجِفَـــــادِ

يَـا شَمْـخَةَ التَّارِيـخِ فِي أَوْرَاسِنَـــا

يَـا نَبْعَ مَلْحَمَتِي بِثَغْـرِ الحَـــــادِي

ففي هذه الأبيات من قصيدة سليمان العيسى التي عنونها "يوسف زيغود" مضى الشّاعر في عرض تضحيات هذا البطل الخالد في تاريخ الثّورة، والإشادة بشجاعته رفقة إخوانه وما لاقوه من ويلات المستعمر لَمَّا قام هذا الأخير بإفراغ الرّشاش بجسد الشّهيد بعد استشهاده تعبيراً عن ذلك الحقد المكنون تّجاهه وسائر الثوّار، فكانت هذه القصيدة بحقٍّ تأريخاً مميّزاً لحياة هذا البطل الخالد في ذاكرة الجزائريّين على مرّ التّاريخ.

كما كان للمرأة المجاهدة والشّهيدة مكان رحب بين ثنايا كتابات الشّاعر، حيث خصّها بقصائد حملت دلالات رمزيّة متنوّعة جسّدت نضالها المستميت إلى جانب أخيها الرّجل، فيقول في إحداها متحدّثاً عن البطلة الجزائريّة "جميلة بوباشا"[19]

قِدّيسَـةٌ جَدِيـدَةٌ فِي قَبْضَـةِ العَـــذَابْ

يَزْهُو بِهَا لِوَاؤُكِ المَرْكُوزُ فِي السَّحَـــابْ

قِدّيسَـةٌ جَدِيـدَةٌ...للسِّجْنِ، للذِّئَـــابْ

تُطْعِمُ نَارَ السَّاحَةِ الحَيَـاة وَالشَّبَـــابْ

نَادَيْتِ يَا أَرْضَ الفِدَاءِ...فَالدَّمُ الجَـوَابْ

فهو في قصيدته المعنونة "تباركت أرض البطولات" نجده يُشيد ببطلة الجزائر "جميلة بوباشا" وهي إحدى الجميلات اللاّتي قدّمن أرْواحهنّ من أجل استقلال الجزائر، فوصفها بالقدّيسة الجديدة التي وقعت في قبضة السجّان الذي لم يرحمها وراح يُذيقها أنواع العذاب إلاّ أنّها تأبى الاستسلام والانصياع، وتقابله بالصّبر والصّمود لتتحوّل إلى رمزٍ تحرّري أنثوي يتغنّى به كلّ شاعر وشاعرة.

لقد تربّع الشّاعر سليمان العيسى على عرش الشّعراء العرب الذين مجّدوا ثورة التّحرير المظفّرة، فنجده قد انبرى يسرد أحداثها ويُشيد ببطولات صانعيها وسط ويلات التّعذيب والتنكيل، وهو بالرّغم من أنّه لم يستطع زيارة الجزائر إبّان نكبتها فإنّ شعره واكب حيثياتها وأرّخ انتصاراتها، واستمرّ إلى ما بعد استقلالها في فخر وإعجاب دائبين بهذه الثّورة العظيمة؛ بأسلوب راقٍ وكلمات قويّة معبّرة تعكس صدق التّضامن بين أبناء العروبة.

4.الخاتمة:

بعد هذه الدّراسة التي تمثّلت في التعرّف على أحد مصادر الإلهام الكبرى في مسيرة الشّعراء العرب، نعم إنّها ثورة التحرير الجزائريّة التي انصبّ عليها وعلى بطولات صانعيها اهتمام أغلب الشعراء على اختلاف مشاربهم فما لبثت أن تحوّلت إلى أيقونة كبرى في الجهاد والتضحية والانتصار على الظّلم، فلا ينظم شاعر معيّن في مثل هذه المواضيع إلاّ وكانت الثّورة ومآثرها حاضرة في نظمه يتغنّى بها ويشيد بمفاخر أبناء الجزائر، وذلك بالضّبط ما لمسناه جليّا في أشعار الشاعر السّوري سليمان العيسى الذي خصّها بنصيب وافر من نظمه بل وأنتج لها ديوانا متميّزا أسماه باسم الجزائر تخليدا لروائعها ونصرة لأبنائها؛ فإنّنا توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج هي كالآتي:

. لقد استطاع شعر الثّورة أن يحتل الرّيادة بين سائر الأنواع الأدبيّة، لقدرته الهائلة في دعم حركات التحرّر وإيصال صوت الشّعب المكبوت إلى أبعد الأصقاع، ما من شأنه زيادة الوعي وإيقاظ الهمم للافتكاك من قيود الظّلم.

.ازدهر الشعر الدّاعم للتحرّر ببزوغ فجر ثورة التّحرير المظفّرة، فانبرى أبناء الجزائر وإخوانهم من البلدان العربيّة في حمل لواء الجهاد بالكلمة إلى جانب السّلاح؛ قصد إيقاظ الغافلين وتصوير معاناة الشّعب المضطهد، فجاءت أشعارهم في شكل قصائد تتغنّى بالأمجاد والبطولات وترسم الأمل في غد مشرق.

. عايش الشّعراء العرب حيثيات ثورة الجزائر بأحاسيسهم وقرائحهم التي جادت بأنفس ما لديهم في سبيل دعم القضيّة الجزائريّة، فسرعان ما تحوّلت إلى أيقونة كبرى وجب الحديث

عنها وضرب الأمثلة بروائعها والاعتزاز بما قدّمته في سبيل الحريّة الوطنية والعربية ككلّ.

. برز شاعر الثّورة الجزائريّة بالقطر السّوري الشّقيق وهو سليمان العيسى الذي صدحت حنجرته بمآثر الثّورة فأبى إلاّ أن يُواكب أحداثها الجسام، ويفخر بمنجزات أبنائها الأشاوس، لتنعكس في شعره تجربة صادقة تحذوها مشاعر الفخر والاعتزاز والأخوّة.

وقبل أن نسدر السّتار عن هذا الموضوع لابدّ أن نؤكّد على أهميّة مثل هذه المواضيع وثرائها، فضلا عن ما تحمله من قيم إن هي صارت محطّ اهتمام الأجيال اللاّحقة للاستفادة منها في التعمير والمحافظة على الحريّة المكتسبة وإتمام مشروع البناء الحضاري، ولذلك ينصبّ اقتراحنا حول الحرص الشّديد على تعريف النشء بمثل هذه الصور الخالدة لثورتنا المجيدة وتلقينهم مختلف العبر المستخلصة منها في شتّى الأطوار التعليمية قصد ترسيخ معالم الوطنيّة والهويّة العربية بهم مرفوقة بمشاعر الفخر والاعتزاز بمآثر أبناء الجزائر في سبيل أن نتخلّص من قيود الاستعمار والعبودية ونحظى جميعنا بالحريّة.

5. قائمة المصادروالمراجع:

- أحمد جابر عفيف، سليمان العيسى اللّهب الشّاعر، ط1، دار الرّاني للنّشر، سوريا، 2000م.

- أحمد سحنون، الديوان، ج2، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007م.

- الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق العربي دحّو، الديوان، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م.

- سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج1، ط1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت لبنان، 1995م.

- سليمان العيسى، ديوان الجزائر، ط1، أطفالنا للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010م.

- عبد الرزّاق بن السّبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، دط، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الإمارات المتّحدة، 2000م.

- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.

- عثمان سعدي، الثّورة الجزائريّة في الشّعر السّوري، رسالة دكتوراه الدولة، قسم الأدب المعاصر، معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، دت، تحت إشراف أ.د محمد حسين الأعرجي.

- غالي شكري، أدب المقاومة، دط، دار المعارف للنّشر، مصر، 1990م.

- محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ط1، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م.

- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ط3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دت.

- مفدي زكريا، ديوان اللّهب المقدّس، دط ، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر ، 2007م.

- نجاح عطّار وحنّا مينة، أدب الحرب، ط2، منشورات دار الآداب، بيروت، 1979م.

[1]- ينظر نجاح عطّار وحنّا مينة، أدب الحرب، ط2، منشورات دار الآداب، بيروت، 1979م، ص29.

[2]- ينظر غالي شكري، أدب المقاومة، دط، دار المعارف للنّشر، مصر، 1990م، ص317.

[3]- محمد الطمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ط1، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م، ص343.

[4]- الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق العربي دحّو، الديوان، ط3، منشورات ثالة، الجزائر، 2007م، ص49.

[5]- ينظر عبد الرزّاق بن السّبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، دط، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الإمارات المتّحدة، 2000م، ص75.

[6]- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص109.

[7]- مفدي زكريا، ديوان اللّهب المقدّس، دط ، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر ، 2007م، ص41.

[8]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ط3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دت، ص439.

[9]- أحمد سحنون، الديوان، ج2، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007م، ص275.

[10]- مفدي زكريا، ديوان اللّهب المقدّس، ص53.

[11]- مفدي زكريا، ديوان اللّهب المقدّس، ص53.

[12]- ينظر عثمان سعدي، الثّورة الجزائريّة في الشّعر السّوري، رسالة دكتوراه الدولة، قسم الأدب المعاصر، معهد اللّغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، دت، تحت إشراف أ.د محمد حسين الأعرجي، ص698.

[13]- ينظر أحمد جابر عفيف، سليمان العيسى اللّهب الشّاعر، ط1، دار الرّاني للنّشر، سوريا، 2000م، ص145.

[14]- ينظر سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج1، ط1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت لبنان، 1995م، ص(479، 480).

[15]- ينظر سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج1، ص434، و سليمان العيسى، ديوان الجزائر، ط1، أطفالنا للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2010م، ص57.

[16]- سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج3، ص(178،177).

[17]- سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج3، ص(178،177).

[18]- ينظر سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج2، ص(117،112).

[19]- سليمان العيسى، الأعمال الشّعريّة، ج2، ص(161،160).